

الركوب في الخط الحجازي على ما فيه الآن من خلل في إدارة واستثماره وقلة وسائط الراحة ولو وفرت العناية به لظهرت الفوائد التجارية المادية ظهور الشمس في رابعة النهار ويكفي الآن أن الخط بين دمشق والمدينة قد حسن تجارة البندين كثيراً بل أن من بعض الأراضي على طول الخط ما عمر أو كاد الآن بفضل المواصلات. والإفرنج يقولون: مدد الخط الحديدي في قفر ونحن نضمن له العمران فما بالهم يحلون لأنفسهم ما يحرمونه علينا ثم أن دعوى أن الخط الحجازي ينقل جراثيم الوباء مسألة فيها نظر بعد أن تحجر الحكومة على الحجاج في تبوك أياماً على أنه قد تمر السنين ولا يتشر الوباء في الحجاز.

العهر والزواج

التقى المسير مالا برا أحد أساتذة الفلسفة في باريز محاضرة في مدرسة المروس الاجتماعية العالية قال فيها: إن من يذهبون إلى أن التصريح بشرح المخطورات والذائل أما الطيبة مما يضر بأدائهم ويعرفهم ما كان يجب السكوت عنه معهم هم في ضلال من آرائهم. وإن ما يروونه من جهل الأطفال في هذه الأمور مما يحفظ عليهم طهارتهم وعفتهم هو الخطر والخطر وذلك لأن الجهل لا يعد فضيلة ولا يقوم مقامها لأن للجهل حداً وزمناً يقف عندهما وعندئذ يسرع العطب إلى الفضيلة. ثم أن من يتوهم بأن الشاب يبقى إلى السادسة عشرة من عمره غير عارف بأسرار الرجولية هو من العناية بمكان. لأن الشاب لا ينبغي أن يعلم من بعض أقرانه الذين هم أعرف منه بهذه الأمور لم يعلم ذلك من والديه أو معلمه فالوالدة خصوصاً هي أعرف بالزمن الذي يجب أن تصح به لأبنها بما ينبغي له اتقاؤه من المفاسد وهي أقدر من غيرها على نصحه النصح اللازم بدون أن تحس

أصلاً من أصول الحياء. ولكن معظم الوالدين يتساهلون بإعطاء هذه النصائح ويتخذون من جهل أبنائهم بما يترتب عليها من المفساد حجة على سكوتهم. ومن المعنين من تضيق صدورهم بشرح ما ينبغي ذكره للشبان مجتمعين ويؤثرون أن يذكروها لبعضهم منفردين ومنهم من يرون أن يعهد ببحث هذه النصائح لطبيب الأسرة وآخر للرئيس الديني والأحسن أن يكون أمرها بيد المعنين.

يجب أن يقال للأولاد أنكم إذا أحببتم أن تكونوا في حياتكم أهل شرف وحشمة أن تعرفوا أن الأمم يضلحل أمرها متى فقدت آدابها وأنه لا سبيل إلى شخص أن يكون في مبدأ أمره فاسقاً ثم يكون في دور آخر صاحب فضيلة محترم المقام. فمن فصول الأخلاق فصل اعتادوا ويا للأسف أن لا يشرحوه لكم على حين هو جدير بالشرح وأعني به علاقة الرجل بالمرأة لما في ذلك من المخاطر والأهواء والشُرور والمفاسد التي تعبت بمعنى الفضيلة والشرف والعدل. إن من أشنع ضروب الفسطة ما يزعمه بعضهم من أن خيانة المرأة من أعظم الجنايات ويتفرون خيانة الرجل وربما عدوها من أنواع الظرف والنباقة على حين هما مشتركان في الجريمة وارتكاب المآثم والرياء. ولعلهم يرون أن المرأة مخنوق بنوع مبالغاً عظيماً من الطهر والعفاف وهما لها من الأمور الطبيعية السهلة وأن الرجل هو من هذه الوجهة محقر مردول لا سبيل إلى مطالبة بأن يسير على غير ما يسير عنده الخنازير أو العصافير. أو لعل بعضهم يقول بأن خيانة المرأة وهي تأتي إلى البيت الأبوي بولد ليس منه يشارك أهله في العطف والإرث ويسيء استعمال الحقوق الطبيعية التي هي لأهله الأصليين من دون الدخلاء لا تعد شيئاً ولكن الرجل الذي يضع أبنه في غير بيته هل هو أقل ظمناً لأسرته واجتمع من تنك المرأة وهذه تحمل الطفل في أحشائها

تسعة أشهر وترضعه وتربيته وتتعبد به أما الوالد فيقضي حظه في ساعته ويذهب مختالاً. ولكن هذا الظنم في الحكم على الجنسين ليس إلا اعتقاداً عاطلاً قديماً ورثناه عن الأجداد الذين كانوا ينظرون إلى المرأة نظرهم إلى حيوان مفترس أو دابة ركوب وأنها خادمة الرجل وملكه ومتاعه نهبها في الحرب أو ابتاعها من السوق وبذلك كانت سرقتها خرقاً لحقه وجنائتها إهانة لعظمته وتمكينها من نفسها ضرباً من ضروب الاعتداء على حق غيرها وهي لا حق لها يعرف بته.

نعم ليس ثمت أدبان فمن سار سيرة سيئة دينية مع امرأة لا يستطيع أن يكون عفيفاً مخلصاً عادلاً بقية حياته ومن أسخف ما يقولونه حتى كاد يسري مسرى المثل أن الشبهة طور من أطوار الحياة لا بد من قضائه أي أنه يتسامح مع الشاب أن يأتي ما يأتي. وكم من رجال أفسدوا بهذه الحكمة السخيفة ومن وجدانات يعيث بها كل يوم من تأثيراتها. فمن أفلطح الأمراض التي يصاب بها الشباب مرض الزهري فقد أثبت الإحصاء أن واحداً من كل سبعة رجال يصاب به في فرنسا وواحداً من كل أربعة يصاب به من طبعة باريز فهذا الطاعون الجديد كما يسمونه يحمل معه أمراضاً كثيرة منها العقم والقابض العام والموت فكما أنه مرض عظام فهو معدي حتى من بعد خمسين سنة فإن أصيب به يحمله إلى غيره حتى بعد هذه المدة فقد ثبت أن الإصابات على هذه الصورة ليست نادرة بل أن ١٩ في المئة من النساء يصبين به من رجالهن وينقلنه إلى أولادهن وأن عشرين ألف طفل في سنة يولدون ميتين أو يموتون في الشهور الأولى من ولادتهم بسبب هذا الطاعون ومن يعيش منهم يقولون في عاهات وسقوط نفسي وجسدي كاحديداب ظهورهم ووقر في آذانهم وعقلة في ألسنتهم وضعف في قواهم العقلية وبلاهة وحق. فأى شاب عاقل يعرض

أولاده لهذا المرض بصنعه ويورثه هذه المصائب ولا تراخذه نفسه عنى ما أتى قاتلاً أنه يكفر عن سيئات ارتكبتها ويؤخذ بجنايات أتاها دع عنك ما ينال الشخص نفسه من ضعف القوى العقلية وضعف النشاط والفتاء مما يجعل فيه استعداداً للنسل وللأمراض العصبية والعقنية فمن يسرف في حبه عنى صورة دنئة جنونية يوشك أن يهينه ولا يهين المرء حبه إلا إذا أهان نفسه فقد قيل ما من امرئ يأتي ما يحجل منه بدون أن يصدر عنه بعض المقت والقندارة. وبهذا رأيتم أن العفة تطالبكم بالاحتفاظ بما لا لنحيطة عنى النفس فقط بل حرصاً عليها من التدنس والعار.

وأي لأعجب لمن يعدد إلى إغواء فتاة ثم لا يعنم أنه كتباً تدين تدان ويستاء إذا بلغه أن أخته أو إحدى أقاربه قد اتخذت لها خليلاً حتى يكاد يموت خجلاً وربما أدى به ذلك إلى ارتكاب الجنايات. وأي لأرثى لحال تلك الفتاة التي أغويت وتركها مغويها بما فيه من دناءة. ومن قال بأن جريمته تغفر إذا استفاد من فتاة أغواها قبله إنسان فهو شريكه في الجرم لا محالة ومن أمثال هؤلاء الشبان كثر العهر والفجور أحد الأدواء الاجتماعية في هذا المجتمع. فمن دناءة الطبع أن يبيع المرء جسده من كل طالب فهل ترون أقل دناءة من يتاع جسم غيره؟ فقد قال فيكتور هوغو كلاماً حرياً بالإمعان:

يقولون أن الرق زال من الحضارة وهذا وهم لأنه ما زال بحاله ولكنه رق لا تنوء تحت عبئه إلا المرأة وهو ما يسمى بالعهر. لا يتقل عنى المرأة أي عنى النطف والضعف والجمال والأمومة وذلك من موجبات الخجل للرجل.

وأن من يقول أن الشباب بما يأتي يقوم بواجب طبيعي لا نجيه إلا بأن ما يعمله هو من نتائج التفكير. ويتأتى له أن يفلت من مخالب هذه المفاسد إذا صحت عزيمته وسنت

إرادته فالإرادة وحدها هي الباعثة على الشهوات وإذا قيل أن مقاومة الطبيعة صعبة فإننا نقول بأن ما يصرف من القوى في جهاد النفس والهوى أقل مما يسرف منها إذا سار المرء بما تمنيه فطرته الرديئة. ومن خلص نفسه من هذه المآزق كان خليقاً بأن يعد مالك نفسه ثبت الإرادة متين الأخلاق كريم العواطف وكل ذلك من صفات الرجولية.

فعليك يا هذا أن تعني قدر الحب وأن تبذله لأنه أجل ما في الأرض وأقدس وأقرب إلى الله تعالى. قدر المرأة بحيث لا تمان لألها في البيت والاجتماع حارسة الكمال وهي في ذاتها جزء بل أشرف جزء من الكمال في الحياة وعليك أن تتسل أبدأ المرأة في ذهنك صورة حية كما تتسل أختك وأملك صورة الطهر والنطف واحقد بما قاله تورية: إن من يتزوج شاباً وهو سليم البنية ويختار فتاة شريفة سالمة من العاهات ويمارح حبها شفاف قلبه ويبدل كل نفسه وقواه ويجعلها رفيقة أمينة له وأماً ولوداً ويميل لتربية أولاده ويكون لهم خير مثال بعد وفاته هذا هو الحقيقة وما عدا ذلك خطأ وجناية وجنون.

ولا أسهل عليك من التوقي من ضروب الإغواء والغواية إذا أزمعت أن تتزوج شاباً وفكرت فيمن تكون أليفة حياتك ممن ربما تكون عرفت صورتها من قبل وأحيتها وكنت حبها في صدرك فتشاطر في الحياة آلامها وأفراحها وه تكون لك عوناً كنا أنت لها عون بما تشعر به من حبك لها حباً دائماً جميلاً وتتخذ من جسدك وروحها أحسن مادة تؤلف منها جسد وليلك وروحك.